

## من تحت طيّات الوحل... أناديكم

لست أدري من أين أبدأ؟ لقد قُضي الأمر.. وأغلقت  
النافذة.. للأبد.. سيحين الوقت لأقصر عليهما ما فعلت منذ  
لحظات.. إنهما قادمان إليّ لا مناص ولا وقت للتحايل.. ولا  
قدرة على الاختلاق.. فالعضو فم والعقل راهب.. والجسد  
جثة!!.. والكل ناطق..

أين أذهب؟... أين أذهب وبיתי ظلمة... وقرنائي  
جيفة... قرآن يُتلى.. ماء يُسكب.. نحيب يسخر وفجر  
يزغ... وشمعة تطفأ وفجر ييزغ.. أقسم أنها كانت ساعة..  
وكنت أقول: أنزلوني بالله عليكم.. لما تهرول  
خطاياكم؟... آه لو ترون ما أرى.. لو تسمعون ما أسمع..  
لاختلف الأمر كثيراً...

الوقت يمر... أو لا يمر.. وما الفرق... الفرق دنيا...  
وما أدراك ما الدنيا؟ الدنيا ساعة فلتكن طاعة!!

ماذا أقول لهما؟ والقول مسطور... واللسان مأمور...  
كنت أظن أنني مجبور... هل من كرة أخرى؟... رب

ارجعون... ارجعون... لعلِّي أعمل صالحاً فيما تركت...  
 هيهات... هيهات لما تواعدون لقد غيض الماء وقُضي  
 الأمر... والتقت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق وما  
 أدراك ما هو؟

لقد كان المؤذن يؤذن ليشير إلى منبع النهر... ألم ينهرني  
 حين اشتعل الرأسُ شيباً... ألم يزجرني حين انحنى الظهر  
 ووهن العظم مني... ألم يوقظني من غفلي حين أراني فلاناً  
 سئماً... والآن أقول: يا ليتني لم أتخذه خليلاً... تبأ له...  
 بل تبأ لي... لقد تبرأ مني الآن مثلما فعل الآخرون...

ليتني أرجع أعمل صالحاً فيما تركت... بل ليتني كنت  
 تراباً... ولكنني كنت... وأين أنا الآن... ها... في  
 التراب... وهل إلى خروجٍ من سبيل...؟

يا إلهي... إنهما قادمان... إن دوري بعده... ذلك  
 الجسد المسجى إلى جوارِي... لقد جاء قبلي بلحظات... في  
 موكب ضخم... هكذا قال لي... لقد ودعه كبار رجال  
 الدولة... كبار... ها... إنني أتذكره... عندما طالبته ببعض  
 مما أنعم الله عليه... فأبى واستكبر... كانت زوجتي  
 مريضة... وكنت أنا في أتم صحتي... تنقصني بعض  
 الوريقات... لأدائها عند الطبيب المشهور... إنها الآن حية

ترزق بمفهوم الأحياء... وأنا حي أحاسب بمفهوم  
الأموات... إنها حية لا بتلك الوريقات اللعينة... ولا بدواء  
الطبيب... ولكن بإرادة الحي القيوم... فأمره بين الكاف  
والنون.

الآن أنا وصديقي المسجى بجواري كأسنان المشط... لقد  
عاث في الأرض فساداً... ولقد حان الوقت لتأخذ الأرض  
بثأرها منه...

لقد بدأ يصرخ ويتلوى... ثم يجهد في البكاء... لو  
سالت منه عبرة ساخنة في الدنيا خوفاً من حاله هذا لما كان هذا  
هو حاله الآن... ألم ثم صراخ ثم نحيب ثم ألم...

من الآن فصاعداً لن أستطيع أن أسرد باقي المشاهد، لأنهما  
فرغا منه.. لقد استدارا إليّ... وبدءا يقتربان... لا أس...  
أستطيع أن أتفوه الآن بكلمة واحداً... كلا؟!..!

\* \* \*

الظلام وحده... والبيت حجرة... والعدل عدل... سبقه  
الرحمة... أخيراً استعدت أنفاسي... وسأقص عليكم...  
لأنكم بنا للاحقون... فهل لازلتم تسمعونني؟ أم لا حياة لمن  
أنادي... أم هل سبقني الشمس فكشطت... والموءودة

فَسُئِلْتُ . . . والأرض فأخرجت أثقالها وما أدراك ما أثقالها . . .  
لم يحدث حتى الآن؟ . . . إذا فانتهزوا الفرصة وعضوا عليها  
بالنواجذ . . .

وسأقص عليكم . . . لقد جاءني . . . منكر ونكير . . .  
أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف،  
وأنيابهما كالصيافي وأنفاسهما كاللهب . . . سألاني . . .  
وأنطقني الله الذي أنطق كل شيء . . . ومن يطبق الكلام في  
مثل ذلك الموقف الرهيب الذي تخر له الجبال هدأً ويشتعل رأس  
الولدان فيه شيئاً . . . إلا من رحم ربي . . .

﴿بَشِّرْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [ابراهيم:  
27].

لقد أجلساني فوق حلقي في بطني . . . ثم بدءاً: من  
ربك؟ . . . ما دينك . . . ومن نبيك . . . ؟

وفجأة انقشع الظلام . . . وسادت السكينة وهدأت بعض  
الشيء . . . تسألونني عن السبب . . . أقول لكم هو بأمر مالك  
الأسباب . . .

مجرد وافد جديد . . . ولكنه مميز . . . إنه ليس مثلي . . . ولا

مثل صديقي المسكين المسجى إنه أرقى من ذلك .. أرقى  
وأسمى بكثير... تركه أهله وولوا وبقي عمله... وعمله  
نور... ونوره برهان... ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له  
الرحمن ورضي له قولاً.

لباسه حرير... خُضِرَ كعبقري حسان... بيض كاللؤلؤ  
المكنون... تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام...  
لا تتركني أرجوك فأنت أنيسي... بعد الوحدة...  
وتُفخ في الصور.. وضمّت الأذان... وتبدل الموقف  
وسأقص عليكم... فللقصة بقية... وما كانت هذه إلا  
البداية...

والبداية جسر... والجسر صراط... تحته النار... وأمامه  
الجنة... وسأقص عليكم لو أذن لي ربي...

